المحور السابع

الآثار الداخلية للحرب

٢٠ ـ تداعيات الحرب على المجتمع الإسرائيلى وكيف أثرت على إعادة النظر
فى مفهوم الأمن الإسرائيلى .... أ. أمجد أحمد جبريل

٢١ ـ أثر الحرب على الداخل اللبنانى: الأزمة وأبعادها الإقليمية
والدولية .... د. رضوان السيد

• التعقيب .... د. حسن نافعة ـ د. ناهد عز الدين

٢٠ ـ تداعيات الحرب على المجتمع الإسرائيلى وكيف أثرت على إعادة النظر فى مفهوم الأمن الإسرائيلى

أ. أمجد أحمد جبريل(*)

الهزائم الكبيرة غالبًا ما يكون لها تأثير إيجابى؛ لأنها تقود المجتمع إلى ممارسة النقد الذاتى، وإلى التمعن فى أوضاعه، وتجعله أشدّ وطنية واستعدادًا للتضحيات. أما الانتصارات فلها تأثير عكسى؛ حيث تقود فى الغالب إلى التلذذ بالأوهام وإلى الكبرياء المفرطة؛ لذلك فإن الانتصارات الكبيرة خطر يصعُب على الشعب تذليله أكثر مما يصعُب عليه تذليل الهزائم.

ناحوم جولدمان(١)

مقدمة

فى ١٥/ ١١/ ٢٠٠٦ قتلَ صاروخ فلسطينى من طراز «قسّام» إسرائيليةً فى مدينة سديروت جنوب إسرائيل، كما أصاب اثنين آخرين بجروح خطيرة. وقد وقفت حكومة إيهود أولمرت عاجزة عن فعل أى شىء سوى الإقرار بأن الجيش الإسرائيلى لا يملك «حلا سحريًا» لوقف سقوط قذائف القسام؛ لأن الحرب على القسام ليست من الحروب التى يمكن فيها توجيه ضربة عسكرية قاضية «ونقول انتهينا»(٢).

وبرغم أن طيران العدو الإسرائيلى قد شنَّ خمس غارات جوية بعد ساعات قليلة على قطاع غزة، إلا أن المقاومة الفلسطينية عادت لإطلاق صاروخين آخرين فى اليوم التالى مباشرة(٣).

(*) باحث فى العلوم السياسية.

وعلى حين كان العجز هو حيلة الحكومة الإسرائيلية وقوات الاحتلال؛ بادر الملياردير الإسرائيلى ـ الروسى الأصل ـ أركادى غايدماك إلى تأجير حافلات لنقل أكثر من ألف شخص من سكان سديروت إلى الراحة والاستجمام فى فنادق إيلات. وكان إبان الحرب على لبنان قد فعل الشىء نفسه؛ حيث استقدم آلاف الإسرائيليين من البلدات الشمالية التى كانت تتعرض للقصف الصاروخى إلى جنوب إسرائيل، وكل ذلك من ماله الخاص(٤).

ثمة أربعة أمور تلفت الانتباه فيما تقدم، وهى تكاد تلخص حالة الدولة والمجتمع فى إسرائيل بعد العدوان الأخير على لبنان (١٢/ ٧ ـ ١٣/ ٨/ ٢٠٠٦)؛ **الأمر الأول**: عجز واضطراب حكومة أولمرت وعدم جدوى لجوئها المتكرر لاستخدام القوة العسكرية لإنهاء نشاط المقاومة الشعبية العربية الذى تقوده الآن حركتان إسلاميتان هما حزب الله وحماس.

الأمر الثانى: هو ظهور وظيفة إستراتيجية جديدة لسلاح الصواريخ بحيث لا يكون بمقدور القوات الجوية الصهيونية إيقافه، وتضطر إسرائيل عندها لخوض معركة برية إذا كان الهدف هو إزالة خطر الصواريخ؛ مما يؤدى لاستنزاف القوات البرية فى حرب عصابات لم تألفها أو تستعد لها(٥).

أما **الأمر الثالث**: فيخص النفوذ المتصاعد لقطاع اليهود الروس الذى يتحرك بفاعلية محافظًا على سمات خاصة تميزه عن فئات الدولة الأخرى من الإشكناز والسفارديم والفلاشا والعرب. وربما يكون تعيينُ أفيغدور ليبرمان زعيم حزب «إسرائيل بيتنا» فى منصب وزير الشئون الإستراتيجية مؤشرًا إضافيًا على تنامى نفوذ قطاع اليهود الروس وبروز قياداته من أمثال ناتان شارانسكى وأركادى غايد ماك(٦).

يحدث هذا كله فيما يشهد المجتمع الإسرائيلى منذ اندلاع انتفاضة الأقصى على الأقل تغيرات كبيرة؛ حيث تعتريه ـ وهذا هو **الأمر الرابع**: حالة من الانحلال السياسى الأخلاقى تتجلى فى عدة مظاهر: تزايد التوجه نحو اللذّة فى المجتمع، وتفشى النزعة الاستهلاكية وتقليد أسلوب الحياة الأمريكى، وارتفاع نسب العنف والجريمة والطلاق، إضافة إلى سيادة دوافع انتهازية لدى النخب السياسية/ البرلمانية الباحثة عن المال والنفوذ حتى لو تعارض ذلك مع مصالح الدولة، بالتوازى مع انتشار الانغلاق الوطنى الذى يأخذ بتلابيب المجتمع إلى ترسيخ نظام فصل عنصرى «أبارتهيد».

من المهم فى سياق استعراض أوضاع الداخل الإسرائيلى بعد العدوان الأخير على لبنان الإشارةُ إلى عدة ملاحظات منهجية لا يستقيم التحليل بدون التمعن فى مغزاها ودلالاتها:

أولها: إن هذا الجهد البحثى لا يتجاوز القراءة الأولية التى تحاول استكشاف موضوعها، ولا تدعى مطلقًا الإحاطة بكل جزئياته وتفاصيله، لا سيما أن الظاهرة محل البحث ما زالت قيد التطور؛ مما يحجب إمكانية وصف جميع جوانبها، وكما يقولون فإن «المعاصرة حجاب».

وثانيها: إن هذه الحرب التى امتدت ثلاثة وثلاثين يومًا كاملة لم تكن حدثًا عسكريًا وسياسيًا عاديًا، وإنما عبّرت عن لحظة فاصلة بحيث يمكن الحديث عما قبل العدوان على لبنان وما بعده؛ ومن ثمَّ يجوز إدراجه (أى العدوان) ضمن الأحداث الكبرى فى مسار الصراع العربى/ الإسرائيلى؛ مثل عدوان ١٩٦٧، وحرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣، وغزو لبنان ١٩٨٢، والانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧، ثم انتفاضة الأقصى.

ويبقى تقسيم مسار هذا الصراع الممتد إلى مراحل ذات بداية أو نهاية محددة أمرًا اجتهاديًا. ولكن أيًا كان من يقوم بهذا التقسيم فليس بوسعه أن يتجاهل أهمية هذا الحدث بعينه، الذى سمّاه البعض بحق «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة»(٧). ويرجع ذلك إلى: حساسية التوقيت الذى اندلعت فيه الحرب، وطبيعة التكتيكات والإستراتيجيات العسكرية التى استخدمها طرفا الحرب المباشرين، وحجم التداخل بين العوامل المحلية والإقليمية والدولية فى هذه الحرب.

ثالثها: ليس من المبالغة القول إن كثيرًا من تداعيات تلك الحرب لم تنجلِ بعد، فمن شأن الحروب دائمًا أن تعيد تشكيل الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى للأمم والشعوب لعشرات السنوات، ولا يجب أن يستغرب المرء توالى صدور العديد من المؤلفات عن حروب مرَّ عليها نصف قرن أو يزيد فى قراءات جديدة لأحداثها ونتائجها وآثارها على موازين القوى الإقليمية والدولية(٨). وهذا تنبيه على ضرورة مراجعة تداعيات حرب لبنان مرة بعد مرة، بعدما تمرُّ السنوات وتنكشف وثائق الحرب.

ورابعها: إن من الضرورى تحرى الدقةِ البالغة فى مسألة المصطلحات المستخدمة لوصف نتائج الحرب، ويجب على الدراسات العلمية التى تتصدى لمثل هذا الموضوع العناية بمعايير الحكم على الأشياء وتدقيق المصطلحات. وبالرغم من ذلك يمكن القول إن

الجدل الداخلي في إسرائيل بعد الحرب يؤكد فشلها في تحقيق أهدافها حتى بعد أن تمّ تقليص تلك الأهداف؛ من كسر قوة حزب الله وتفكيكه ونزع سلاحه، إلى الاكتفاء بإضعافه وإبعاده إلى ما وراء نهر الليطاني. وبعدما تبيّن أن كسر قوة الحزب أمر غير ممكن التحقيق لجأ البعض إلى بلورة غطاء سياسي جديد للحملة العسكرية؛ ألا وهو تنفيذ القرار ١٥٥٩[٩].

لكن من باب الأخذ بالأحوط يجب وضع الحرب في سياق مقارن - خصوصًا بمقارنتها بحرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣ - مع مراقبة السلوك اللاحق للطرفين العربي/ الإسرائيلي، فمن الممكن أن يُعدِّل الطرف المهزوم سلوكه، ويعيد ترتيب أوراقه وأوضاعه للالتفاف على النتائج العسكرية المباشرة للحرب؛ وهو أمر يتوقف على قدرات الطرفين في إدارة الموقف بعد توقف القتال. بيد أن ذلك لا يمنع من الادعاء أن جميع المغامرات العسكرية التي ستخوضها إسرائيل مستقبلاً ستكلفها خسائر متصاعدة بفضل تحسّن أداء المقاومة العربية وقدراتها. وبعبارة أخرى فإن حرب يونيو/ حزيران ١٩٦٧ كانت النزهة الأولى والأخيرة لإسرائيل. ومن متابعة الخط البياني للصراع المسلح بينها وبين العرب يمكن ملاحظة أن مرحلة ما بعد عام ١٩٦٧ تختلف عن كل ما سبقها من مراحل؛ حيث ترتد إسرائيل بالتدريج إلى حجمها الطبيعي، وتنكفئ إلى الداخل بدلاً من التوسع خارج فلسطين التاريخية، ويصبح أمنها أكثر عرضة للتهديد، خصوصًا في عمقها الإستراتيجي[١٠].

وخامسها: هناك أهمية خاصة لتزايد الخسائر البشرية الإسرائيلية مع تطور نوعية المواجهات العربية/ الإسرائيلية؛ فعلى حين لم يزد حجم الخسائر الإسرائيلية في الأرواح في جميع الحروب التي خاضتها ضد العرب منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ عن ستة آلاف فقط، فإن التقديرات الفرنسية والأمريكية لخسائر إسرائيل في حرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣ على الجبهتين المصرية والسورية تصل إلى عشرة آلاف قتيل. أما تقدير وكالة رويترز فيشير إلى ثمانية آلاف، لكن التقدير الإسرائيلي المعلن هو ٧٥٩ فردًا[١١].

ومهما يكن من أمر، وحتى لو أخذنا بأقل هذه الأرقام؛ فيجب أن لا نغفل عن القيمة الإستراتيجية للعنصر البشري أو العامل الديموغرافي في الصراع العربي/ الإسرائيلي؛ فخسارة شخص واحد بالنسبة لإسرائيل تعني الكثير، ناهيك عن أن يكون عسكريًا مدربًا. وربما يفسِّر ذلك سبب احتفاء الدولة بقدوم بضعة مئات من المهاجرين من أصول مشكوك

فى يهوديتها من الهند أو أمريكا اللاتينية، حتى إن أعلى مسئول فى الدولة لا يتردد فى المشاركة فى احتفالات استقبال المهاجرين الجدد.

ومن الواضح أن حسم الصراع العربى/ الإسرائيلى يرتبط بالعنصر البشرى ونوعيته وتأهيله واستعداده، وهو عنصر يؤثر على المكونات الأخرى للصراع مثل الأرض والهويَّة. نقول هذا حتى لا يستخفَّ أحد بمقتل مستوطن أو جندى على يد مقاومة شعبية تعلن استهدافهما لأنهما يمارسان فعل «الاحتلال وقهر الآخرين». وهذا يؤكد أن سقوط قرابة ٢٠ قتيلاً و١٢٠ جريحًا من الجنود والضباط الإسرائيليين، وتدمير ٣٩ دبابة وجرافة إسرائيلية فى يوم واحد (وهو اليوم الثانى والثلاثين من العدوان ١٢/ ٨/ ٢٠٠٦ أثناء أكبر محاولة إنزال إسرائيلية بعد حرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣) هو حدث يتجاوز دلالته الرقمية إلى دلالات أخرى أكثر عمقًا(١٢).

وسادسها: ربما يصعب إدراك أو فهم مجمل التداعيات على الداخل الإسرائيلى نتيجة للعدوان الأخير على لبنان بدون استحضار **المعنى التراكمى** لهذه التداعيات، وضمه إلى ما سبقها من نتائج وتأثيرات، خصوصًا فى صراع إسرائيل مع الشعب الفلسطينى وقواه المقاومة على مدى انتفاضتى ١٩٨٧ و٢٠٠٠؛ مما يعنى أن الحرب على لبنان تكشف عن تطوراتَ سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية موجودة بالفعل فى إسرائيل، لكن هذه الحرب أظهرتها بشكل أوضح للعيان بفعل كفاءة مؤسسة حزب الله ـ قيادةً وعناصر ـ فى إدارة الصراع مع إسرائيل، وتكثيف فعل المقاومة لفترة طويلة نسبيًا.

فى إطار هذه الملاحظات المنهجية يمكن أن نقسِّم تداعيات الحرب على الداخل الإسرائيلى إلى ثلاثة مستويات: التداعيات على مستوى المجتمع وقيمه وهويته، والتداعيات على نظرية الأمن الإسرائيلى واتجاهات إعادة تعريف الأمن بعد الحرب على لبنان، والتداعيات على التوجهات السياسية الإسرائيلية، وأخيرًا تتناول الخاتمة احتمالات إحياء عملية التسوية والسياسة الإسرائيلية حيالها.

أولاً: التداعيات على صعيد المجتمع وقيمه وهويته

أدخل العدوان الإسرائيلى الأخير على لبنان (١٢/ ٧ـ ١٤/ ٨/ ٢٠٠٦م) المجتمع الإسرائيلى فى خضم أزمة عميقة لَّما تتضح أبعادها الكلية بعد؛ فالخسائر البشرية فى

صفوف جيش الاحتلال الإسرائيلي التى ناهزت المائة قتيل؛ تمثل رقمًا ضخمًا نسبيًا لم تألفه إسرائيل فى حروبها السابقة، والهيبة العسكرية الإسرائيلية - لا بل نظرية الأمن القومى برُمتها - تلقَّت ضربة مؤثرة بفضل صمود رجال المقاومة، واستمرار القدرة الصاروخية لحزب الله حتى لحظة توقف القتال، والتجاذبات السياسية الإسرائيلية الداخلية بلغت ذروتها، حتى شملت المستوى العسكرى ذاته.

بعد العدوان لم يعد المجتمع الإسرائيلى كما كان قبله، وهناك الآن من يتحدث عن حالة «اكتئاب قومى» تضغط على الدولة والمجتمع، وثمة حالة من الأنانية تسيطر على أفراد المجتمع، وتدفع بمفهوم «المصلحة الجماعية الإسرائيلية» إلى الهامش، وهناك تدهور فى القيم واضطراب فى تحديد اتجاه الحركة المستقبلية، وثمة أزمة مستحكمة تتمثل فى غياب القيادات المؤهلة لتصريف شئون الدولة؛ فالقيادات الحالية تُلاحق بعمليات فساد، وسوء استغلال للسلطة، باختصار هناك صيرورات هدَّامة داخل المجتمع الإسرائيلى؛ مما يجعل مستقبل الدولة سوداويًا ومظلمًا(**).

وفيما يلى سنتناول بعض هذه القضايا، فعلى سبيل المثال بات شائعا أن يجرى الحديث عن هوية الدولة والمجتمع مع تكرار المواجهات العربية مع إسرائيل.

وكان شيمون بيريز نائب رئيس الوزراء قد اعتبر فى ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ أن الحرب التى تخوضها الدولة فى لبنان هى مسألة حياة أو موت بالنسبة لإسرائيل، فإما نحن وإما حزب الله. وخاطب اللبنانيين بقوله أنتم أيضًا ليس لديكم خيار، فإما أنتم وإما حزب الله. والحرب اليوم مأساة لبنانية نتجت عن المطامع الإيرانية[١٣].

الخطاب الإسرائيلى الذى ردّده المسئولون الرسميون والصحفيون طيلة الحرب وبعدها ركّز على أن «الديموقراطية الإسرائيلية تواجه عدوًا ظلاميًا يستهدف المدنيين بشكل وحشى. وقد تحمّس الليبراليون الإسرائيليون لهذه الحرب معتبرين دولتهم جزءًا من قوى الخير العالمية فى مواجهة قوى الشر، وكانوا سعداء بأن الحرب وضعتهم بشكل واضح إلى جانب معسكر الغرب فى مواجهة الأصوليين فى غزة ولبنان وإيران، خصوصًا أن «العرب المعتدلين» أبدوا امتعاضًا من «مغامرة» حزب الله بخطف الجنديين الإسرائيليين».

وبصفة عامة يبدو أن الحرب على لبنان نجحت فى خلق حالة من الاصطفاف اليهودى الداخلى، بغض النظر عن التمايزات العلمانية/ الدينية فى إسرائيل، وهذا لا ينفى بالطبع

بقاء أقلية هامشية تنتقد قرار الحرب «التى تجعل الجيش يظهر مثل زعران الحارات، فحينما يختطف جندى فى غزة تدفع غزة كلها الثمن، وعندما يُقتل ثمانية جنود ويختطف اثنان يدفع لبنان كله الثمن (. . .)، وبذلك لا تميّز إسرائيل مرة أخرى بين الحرب العادلة ضد حزب الله والحرب غير العادلة ضد الشعب اللبنانى (. . .). لقد خرجت إسرائيل للحرب من أجل أن يتذكر الناس اسم عمير بيريتس إلى الأبد، فهى حرب تخليد اسم بيريتس من أجل طمس إخفاقات دان حالوتس»(١٤). لقد عكست الحرب حاجة إسرائيل الدائمة إلى العنف المؤسساتى الذى يستلزم الاستعداد الدائم للحرب الشاملة، وللاستعمال المنظّم للعنف، أو ممارسة «إرهاب الدولة» بغرض توفير الاستمرارية للمبدأين الرابطين للجماعات اليهودية؛ وهما المبدأ الثقافى لليهودية، ومبدأ الأمن.

إن تشظى هوية المجتمع الإسرائيلى التى ازدادت وضوحًا بعد تراجع سيطرة النخبة الإشكنازية وعجزها عن إقامة مجتمع ينسجم مع رؤيتها؛ يدفع فى اتجاه تقوية الثقافة والهويات الفرعية الست التى تكشّفت بوضوح تام بعد إعلان نتائج انتخابات الكنيست الرابعة عشرة أواخر آيار/ مايو ١٩٩٦ وهى (بدون ترتيب):

- الثقافة المدنية ذات النزعة العالمية التى تستند إلى طبقة وسطى إشكنازية.
- الثقافة الدينية/ القومية ونواتها الصلبة فى المستوطنات.
- الثقافة الأصولية الحريدية.
- الثقافة التقليدية الشرقية (السفاردية).
- ثقافة المهاجرين الروس.
- الثقافة العربية وقاعدتها عرب ٤٨ .

«وفى وجه جميع هذه الثقافات الفرعية الواضحة الحدود هناك نوع من «ثقافة إسرائيلية» عامة ومفسخة وغير واضحة المعالم والمضامين الاجتماعية بما فيه الكفاية؛ وهى الثقافة الصهيونية التى كانت سائدة يومًا ما، وبالذات بين سنتى ١٩٤٨ و١٩٧٧، وتصدّعت سيطرتها المهيمنة سنة ١٩٧٧، ثم تحطمت سنة ١٩٩٦ . وداخل هذه الثقافة يُفترض أن تتعايش معًا اليهودية كدين وقومية، والإسرائيلية بحكم المولد (Nativism) وغير المولد، إضافة إلى الصهيونية بمختلف أنواعها»(١٥).

بالطبع هناك تأثير واضح لضعف الجامع اليهودى/ الصهيونى، وبروز العامل الديموغرافى على السياسة الإسرائيلية فى مجالى الأمن والتسوية، ويبدو أن تكثيف استخدام الأداة العسكرية يهدف أساسًا إلى تقوية هذا الجامع؛ فالتصعيد العسكرى يمكن أن يكتل الداخل الإسرائيلى خلف قياداته (وقد حدث ذلك تكراراً أثناء رئاسة شارون للوزارة).

وكان يحزقيئيل درور (الأستاذ فى الجامعة العبرية فى القدس) قدَّم ورقة عنوانها «الأسس الداخلية للأمن القومى لدولة إسرائيل» فى مؤتمر هيرتزليا الأول (١٩ ـ ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٠)، وتحدث فيها عن عدة أسس رئيسة للأمن القومى الإسرائيلى، منها:

- إرادة يهودية/ صهيونية.
- انخراط فى الشعب اليهودى.
- مجتمع مجنَّد.
- استعداد للقتل والموت، مع التطلع إلى السلام (نوعية آراء الجمهور).
- تضامن اجتماعى.
- كتلة سكانية متعلمة وتمتلك المعرفة ومبالة إلى التقنية والعلم.
- نظام حكم وسلطة.

وركَّز درور على عنصر الإرادة اليهودية/ الصهيونية باعتبارها الأساس الداخلى الأكثر أهمية للأمن الطويل المدى لإسرائيل.

ويتوقف على هذه الإرادة إمكان تجنيد السكان فى إسرائيل، واستعدادهم للقتل والموت فى سبيل الحفاظ على الدولة.

وقال درور: «إن أهم ما يمكن أن يعلمه لحفيدته هو كيف تقاتل وتقتُل، وحتى تموت فى سبيل إسرائيل»(١٦).

على صعيد آخر أسهمت حرب لبنان فى إعادة تأكيد فلسطينيى ٤٨ على هويتهم العربية، فقد نشر النائب العربى محمد بركة مقالة فى صحيفة يديعوت أحرونوت (٦/ ٨/ ٢٠٠٦) تناول فيها محنة عرب ٤٨ النفسية جراء الحرب الدائرة بين إسرائيل وحزب الله، ودعوتهم إلى وقفها فوراً.

وقال بركة إن رؤية بلد يحبه عرب إسرائيل يتعرض للدمار على يد سلاح الجو الإسرائيلى «أمر مؤلم»، وشدَّد على ضرورة أن يعى الجمهورُ الإسرائيلى حيرةَ عرب ٤٨؛ لأن «البلد الذى هم فيه مواطنون يحارب الشعب الذى هم إليه ينتمون»، وختم بالقول: إننا عرب فلا تتوقعوا منا أن نكون مسرورين عندما يتعرض إخواننا العرب للقتل(١٧).

وقد يكون حرص عرب ٤٨ على إبراز هويتهم فى هذه المناسبة هو سبب هجوم إيهود أولمرت على رئيس حزب التجمع الوطنى الديموقراطى النائب عزمى بشارة بالقول: إننى قلق من تصرف القيادات السياسية لعرب إسرائيل (. . .) وسلوك عزمى بشارة ورفاقه لا يُحتمل. وردّاً على الطرح السياسى للتجمع قال أولمرت: «أعارض بشدة أن تتحول إسرائيل إلى دولة لكل مواطنيها. إسرائيل دولة صهيونية يهودية، وستبقى كذلك إلى الأبد. . . سأعارض بشدة كل تغيير فى تعريف طابع الدولة»(١٨).

إضافة إلى ذلك هاجمت بعض المقالات الصحفية موقف فلسطينيى ٤٨ من الحرب على لبنان، واستعادت ذكريات تضامنهم مع فلسطينيى الضفة وغزة عندما اندلعت انتفاضة الأقصى فى ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠، وسقط ثلاثة عشر مواطنًا من عرب ٤٨ فى مصادمات مع الشرطة الإسرائيلية؛ وهو ما عُرف بهبّة أكتوبر/ تشرين أول ٢٠٠٠. وتساءل عوزى بنزيمان فى مقالة نشرتها صحيفة هاآرتس عن مدى قدرة اليهود والعرب فى إسرائيل على العيش معًا، وقال: «لقد تجاوز عرب إسرائيل الخطوط خلال الحرب الأخيرة؛ فلم يترددوا فى الكشف صراحة عن تضامنهم مع العدو، وتفضيل ارتباطهم به على التزامهم تجاه الدولة التى هم مواطنون فيها (. . .). إن التصادم بين ولاء المواطنين العرب لإسرائيل وبين ارتباطهم بالأمة العربية ـ وليس فقط بالشعب الفلسطينىّ ـ آخذٌ فى التفاقم. وأساس هذا التصادم يتمثل فى رفضهم مشروعية الفكرة الصهيونية، وهو الرفض الذى تقويه وتدعمه سياسة الظلم الحمقاء والآثمة للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة»(١٩).

وفى ضوء ما تقدم يمكن القول إن الحرب على لبنان أثَّرت فى الهوية الإسرائيلية فى جانبيْن على الأقل؛ **أولهما**: إعادة التأكيد على تمايز إسرائيل عن محيطها الذى يموج بـ«الإرهاب الممتد من غزة إلى طهران مروراً بلبنان»، بكل ما يعنيه ذلك من استدعاء وتعظيم الخطر الخارجى، بهدف رص الصف الداخلى الإسرائيلى، وتأكيد وحدة الخطر الذى يواجه الدولة العبرية والغرب على حد سواء؛ مما يستوجب التعاون بين الطرفين للقضاء عليه قبل فوات الأوان. والآخر زيادة شقة الخلاف بين فلسطينيى ٤٨ والدولة العبرية.

ثانيا: تأثير العدوان على لبنان فى نظرية الأمن الإسرائيلى

بالرغم من صعوبة تحديد الأثر النهائى للحرب العدوانية الإسرائيلية على لبنان؛ فإنه بالإمكان تتبع بعض الاتجاهات العامة لتأثيرها فى الأمن الإسرائيلى، من خلال تحليل بعض المقالات التى اهتمت بهذا الموضوع فى الصحف الإسرائيلية.

لذلك فإن هذه الحالة تعتبر محاور أوليَّة فى بابها، ومن ثمَّ يجب إخضاع نتائجها لمراجعات متعددة بعد ظهور آثار تلك الحرب، وتداعياتها بشكل أوضح، وهو أمر يحتاج لفترة قد تطول أو تقصر، بحسب قدرة الأطراف العربية، ومدى استعدادها لتشكيل وحدات خاصة تستلهم نموذج حزب الله فى القتال والمقاومة، خصوصًا فى جزئيات بعينها؛ مثل: اعتماد نمط القتال المتحرك أو غير المركزى، الذى لا يتمسك بالسيطرة على الأرض؛ وإنما ينطلق من مبدأ «لكل نقطة مقاتلوها»، والسعى لاكتشاف مواطن ضعف جيش الاحتلال الإسرائيلى؛ بهدف زعزعة ثقة الولايات المتحدة بالقدرات العسكرية له، وإحراج الجيش، وإلحاق الأذى بصورته أمام المجتمع الإسرائيلى الذى لا يتحمل حربًا طويلة وخسائر بشرية مرتفعة.. إلخ.

يمكن تناول ذلك تفصيلاً عبرالأجزاء التالية: نظرة عامة على مرتكزات نظرية الأمن الإسرائيلى، ودوائر الأمن الإسرائيلى وقضاياه الرئيسة، واتجاهات تعريفه، وتأثير العدوان على لبنان فى نظرية الأمن الإسرائيلى.

• نظرة عامة على مرتكزات نظرية الأمن الإسرائيلى

من نافلة القول التأكيد على أن نظرة إسرائيل لأمنها تختلف عن نظرة الدول الطبيعية لأمنها، فالكيانات الاستعمارية لديها «هاجس أمنى» يتخطى بكثير ما لدى الدول العادية؛ «فإسرائيل هى أمة تعيش فى محنة كيانية، وهى طرف دائم فى نزاع متواصل»، أو كما عبَّر عن ذلك إسحاق رابين بمصطلح «الحرب الراقدة»؛ فإسرائيل تعيش فى حالة «حرب راقدة»، حتى عندما لا توجد أعمال عدائية موجَّهة ضدها بالفعل[٢٠].

هناك ثلاثة مرتكزات أو أسس للنظرية الأمنية الإسرائيلية هى[٢١]:

١ ـ «نقل المواجهة إلى أرض الطرف العربى»

كما حدث فى كل الحروب التى بدأتها إسرائيل فى أعوام ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٨٢م، وكذلك فى قرار اجتياح الضفة الغربية أواخر مارس ٢٠٠٢م.

٢ ـ «الحرب الخاطفة»

حيث يتوجب على الجيش الصهيونى حسم المواجهة مع العدو، وإحراز نصر سريع؛ حيث لا يمكن الاستمرار فى زجِّ قوات الاحتياط التى يقع عليها غالبية العبء الحربى أثناء الحروب فى ساحات المعارك لأمد طويل؛ لأن هذا يعنى شلَّ الحياة فى الدولة العبرية، بما يؤثر سلبًا على سير المعارك فى النهاية.

٣ ـ «إلحاق ضربة قاصمة بالعدو»

فتقصير أمد المواجهة يتطلب من الجيش الصهيونى توجيه ضربة قاصمة، ليس فقط للجيوش العربية، بل للعمق المدنى العربى أيضًا، حتى يضطر الطرف العربى للاستسلام، والإذعان للشروط التى تضعها الدولة العبرية لوقف الحرب (وهذا يؤكد أن مذبحة «قانا ٢» فى ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦م، ومذبحة بيت حانون فى ٨/ ١١/ ٢٠٠٦م لم تحدثا نتيجة أخطاء فنية).

فى هذا السياق يمكن فهم التوجه الأمنى الإسرائيلى، الذى يقوم على افتراض أساسى هو الحاجة الدائمة لاستخدام القوة مع العرب؛ لأنهم لم يسلموا بوجود إسرائيل بينهم، وعلى إسرائيل أن تكون فى حالة تأهب كامل للحرب دائمًا، وأن تخوض الحرب ـ إذا لزم الأمر ـ لإجهاض أى مخطط عربى لشن الحرب، أو تصعيد المقاومة الشعبية.

يقول موشى ديان فى مقالة بعنوان: «عمليات عسكرية فى زمن السلم»، نشرت فى سبتمبر ١٩٥٥م، ويشرح فيها منطق العمليات الحدودية الانتقامية، التى كانت إسرائيل تشنها على العرب: «هناك أهمية كبرى لنجاحاتنا وإخفاقاتنا فى العمليات الحدودية الصغيرة؛ وذلك ليس فقط لتأثيرها على الأمن الجارى؛ وإنما أيضًا بسبب تأثيرها على تقدير العرب لقوة إسرائيل، وعلى إيمان إسرائيل بقوتها»، فهناك دوافع وأهداف أخرى تحيط بعملية اتخاذ القرار للعمليات العسكرية ذات علاقة بنظرة إسرائيل لذاتها وثقتها بنفسها.

أما شيمون بيريز فقد أكّد أن القوة الإسرائيلية وقوة الردع هى التى تجلب السلام فى النهاية ؛ لأنه بواسطتها يقتنع العرب بعدم صلاحية الأدوات العسكرية ضد إسرائيل(٢٢) .

إن سيطرة الهاجس الأمنى على المجتمع والدولة فى إسرائيل تعنى أن الأمن يحتل هناك مكانة «القيمة العليا التى لا تضاهيها قيمة» ، يضاف إلى ذلك أن النزعة الأمنية الإسرائيلية تعبِّر عن حاجات داخلية ، ولا تأتى استجابة لتحديات خارجية فقط ، فهذه النزعة تمثل جزءاً من عملية بناء الأمّة ؛ لأنها نزعة وطنية وحدوية ينضوى تحت لوائها فى زمن الحرب حتى أولئك الذين يَبدون كمعارضين لها ، بل إنهم يسعون جاهدين لتبريرها عندما تقع المواجهات(٢٣) ؛ ولذلك فإن هدف إسرائيل الأساسى من أى حرب هو بلورة إجماع وطنى واسع حول إحباط التهديد الكيانى لوجود الدولة واستقرارها وأمنها ، وهذا يُبرِّر القيام بعمليات وقائية عسكرية لحرمان الخصم من قدراته الهجومية ، حتى لو لم يكن فى مقدور إسرائيل إقامة الدليل على وجود نوايا هجومية ضدها أصلاً ، والمثل البارز لذلك هو الهجوم الإسرائيلى على المفاعل النووى العراقى فى يونيو ١٩٨١م(٢٤) .

• دوائر الأمن الإسرائيلى وقضاياه الرئيسة

تختصر إسرائيل التهديدات المحتملة ضد أمنها وسلامتها فى ثلاث دوائر(٢٥) :

١ ـ **الدائرة الداخلية** : التى تشمل فلسطين التاريخية من البحر المتوسط إلى نهر الأردن ، ويحدث التهديد فى حال قيام أنشطة مقاومة أو حرب عصابات أو أشكال متطورة من الانتفاضة ، أو إطلاق صواريخ فلسطينية نحو العمق الإسرائيلى . . . إلخ . . وقد يكون هذا المستوى من التهديد منخفض الحدَّة ، ولكنه سيدفع إسرائيل إلى استخدام القوة بعنف لمنع تطور هذا التهديد أو تصاعد حدَّته .

٢ ـ **الدائرة التقليدية** : التى تضم الجيوش العربية ، بدون تمييز بين ما هو قريب أو ما هو بعيد عنها ، وبين الدول الموقِّعة لاتفاقات سلام مع إسرائيل أو غير الموقِّعة .

وهذه الدائرة مصدر لتهديدات تقليدية تشتمل على عمليات برية وجوية ، وإذا حدث ذلك على إسرائيل أن تبادر بخوض حروب تقليدية ، سواء على عدة جبهات فى آنٍ واحد ، أو على جبهة محدودة .

٣ـ **الدائرة غير التقليدية** : التى تمتد لتشمل جيوش كل الدول الشرق أوسطية، التى يمكن أن تستخدم ـ وهذا هو سبب تسميتها دائرة غير تقليدية ـ صواريخ باليستية من قواعد ثابتة أو متحركة، تحمل رءوسًا تقليدية وغير تقليدية، وتشن حربًا صاروخية ضد أهداف عسكرية ومدنية فى عمق أراضى إسرائيل، ومرافقها الإستراتيجية، ومؤخرتها المدنية.

فى ضوء هذا التحديد الدقيق لمصادر التهديد المحتملة تبرز عدة قضايا رئيسة؛ وهى مطروحة للنقاش دائمًا فى موضوع الأمن الإسرائيلى، منها:

(أ) العلاقة الجدلية بين أمن إسرائيل ودرجة انخراطها فى عملية السلام، والوتيرة التى تسير بها.

(ب) العلاقة بين الأمن الإسرائيلى، والتطورات الإقليمية والدولية مثل: صعود الإسلام السياسى، أو وجود نظم متشددة فى موقفها من الدولة العبرية مثل: إيران ما بعد الثورة، والعراق فى ظل حكم حزب البعث، أو حدوث انتشار صاروخى، وزيادة كميات الصواريخ ونوعياتها فى المنطقة، أو انتشار أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط، خصوصًا فى ظل سعى إيران لامتلاك سلاح نووى، وامتلاك باكستان له بالفعل.

(ج) كيفية تحقيق الأمن الإسرائيلى: إما بالمزيد من التسلح، وتطوير القدرات العسكرية (وهو تيار متأثر بالمدرسة الواقعية فى العلاقات الدولية)، أو تحقيقه من خلال علاقات تعاون إقليمى نشطة فى كافة القضايا (وهو تيار أضعف كثيرًا من السابق، ومن رموزه وزير الخارجية الأسبق موشى شاريت، وكذلك شيمون بيريز، الذى ما زال مؤمنًا بهذا الطرح، ويعيد تشكيله من آن لآخر).

(د) كيف يؤثر قيام دولة فلسطينية مستقلة على الأمن الإسرائيلى؟

(هـ) العلاقة بين أمن إسرائيل، ومستوى العلاقة التحالفية مع الولايات المتحدة.

(و) العلاقة بين الأمن الإسرائيلى، والعامل الديموجرافى، وتدفق أو انحسار الهجرة اليهودية إلى البلاد[٢٦].

يمكن القول إن جميع هذه القضايا السِّت أثيرت بعد أن توقفت الأعمال العدوانية العسكرية الإسرائيلية على لبنان فى ١٤/٨/٢٠٠٦م، وأحيانًا دار النقاش حولها أثناء العدوان، ووصل إلى حد الاحتدام.

لكن من المهم جدًا فى هذا السياق إدراك أن ما أصاب مفهوم الأمن الإسرائيلى - سواء فى بُعده الشخصى، أم فى بُعده القومى الإستراتيجى - من ضرر لم يكن بفعل العدوان على لبنان فقط، وإنما هو حصيلة لتفاعل عدد من العوامل المركَّبة (مثل: عودة الشعب الفلسطينى إلى المقاومة، ولا سيما نمط العمليات الاستشهادية فى العمق الإسرائيلى، وتزايد قوة إيران، وامتلاكها أدوات تساومية جديدة بفعل الأخطاء الأمريكية المتراكمة فى العراق والمنطقة ككل... إلخ)؛ فعلى صعيد الأمن الشخصى كان القادة الإسرائيليون يشدِّدون - وأحيانًا يزايدون - على قيمة الأمن، إلا أن شعور الجمهور بفقدان الأمن والخوف على الحياة قد تزايد طيلة سنوات انتفاضة الأقصى، بسبب العمليات الاستشهادية التى شنَّها الناشطون الفلسطينيون فى العمق الإسرائيلى[٢٧].

لكن هذا الشعور ارتفع إلى معدل غير مسبوق أثناء العدوان الأخير على لبنان؛ حيث تعالت أصوات النقد الداخلى الشديد بسبب إخفاق الدولة فى حماية مواطنى الشمال، الذين تعرضت مدنهم، ومستعمراتهم للقصف الصاروخى الكثيف.

يقول الكاتب الإسرائيلى إيتان هابر: «لقد تحطم فى الحرب الأخيرة على لبنان شىء ما أساسى؛ هو الثقة بين المواطن الإسرائيلى وحكومته وقياداته، وتخلَّقت بينهما أزمة ثقة لم يسبق لها مثيل من قبل، حتى فى الساعات الصعبة، ما بعد حرب يوم الغفران؛ أى حرب أكتوبر ١٩٧٣م»[٢٨].

ولعله مما يزيد من رُعب الكيان الصهيونى وقلقه - باعتباره مجتمعًا عسكريًا قائمًا على القوة أساسًا - ضمورُ طاقاته الحربية مع مرور الزمن بفعل صمود المقاومة الشعبية فى لبنان وفلسطين، الذى يتزامن مع إصرار إيران على امتلاك تكنولوجيا نووية.

ولا يجب أن ننسى أيضًا تزايد القلق داخل إسرائيل بسبب العامل الديموجرافى الذى شكَّل أحد المبررات التى ساقها شارون للترويج لسياسة الانفصال أحادى الجانب، عندما قال فى ٢٨/ ٦/ ٢٠٠٥م: إن الانسحاب من قطاع غزة ناجم عن حقيقة كونه منطقة لا أمل فى تأمين غالبية يهودية فيه، وواضح للجميع أنه لن يكون جزءًا من دولة إسرائيل فى أى اتفاق للتسوية الدائمة[٢٩].

وأعتقد أن أهم تأثيرات تلك الحرب يتعلق بشكل العلاقة التحالفية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ومكانة إسرائيل الإقليمية والدولية، ولعل أوضح ما قيل عن ذلك هو ما كتبه

جدعون ليفى فى ها آرتس (١٣/ ٨/ ٢٠٠٦م)؛ حيث كتب: تُوشك إسرائيل أن تخرج من هذه الحرب ليست العليا (. . .)، لكن الهزيمة فى هذه الحرب الصغيرة تُعلِّمنا درسًا مهمًا فى المستقبل، وربما تؤثر علينا، وتدفعنا لتغيير لغة حديثنا مع جيراننا (أى تغيير لغة العنف والقوة)؛ فالمبدأ القائل بأن «إسرائيل لا يمكن أن تسمح لنفسها بالهزيمة فى ميدان المعركة» أصبح فكرة جوفاء؛ فالفشل قد لا يفيد إسرائيل فقط؛ وإنما قد يمنحها درسًا مهمًا تُعلِّمه للأمريكيين مفاده أنه لا داعى لدفع إسرائيل إلى القيام بمغامرات عسكرية (. . .)، ليس من الصعب تخيُّل ماذا كان سيحدث لو أن حزب الله قد هُزم فى غضون بضعة أيام من الجو، كما وعدنا قادة الجيش الإسرائيلى بغطرسة منذ البداية.

لقد كانت الولايات المتحدة تدفعنا نحو صدام عسكرى مع سوريا، ونشوة النصر كان من الممكن أن تغرينا، وكان الدور القادم سيكون على إيران، وفى غضون ذلك كنا ستتعامل مع الفلسطينيين، والمحصلة النهائية هى محاولة حل القضية الفلسطينية من جذورها عن طريق المحو والقصف والقذف. . ربما لن يحدث ذلك الآن؛ لأننا اكتشفنا أن قوة الجيش الإسرائيلى محدودة أكثر مما أبلغونا.

ومن المتوقع أن تعمل قدرة الردع الآن فى الاتجاه المعاكس، بمعنى أن تعيد إسرائيل التفكير قبل الإقدام على مغامرة عسكرية أخرى خطيرة (. . .)، وربما يتمثل الإنجاز الذى تحقق من وراء هذه الحرب فى ترسُّخ الفشل فى الوعى الإسرائيلى، وفى إمكانية لجوء إسرائيل إلى طريق جديد أقل عنفًا، وأقل وحشية، وذلك بفضل الفشل فى حرب الأيام الستة (١٩٦٧م). كتب إفرايم كيشون: «آسف لقد انتصرنا»، وهذه المرة (بعد الحرب على لبنان ٢٠٠٦م) يمكن القول: «حسنًا إننا لم ننتصر»[٣٠].

طبعًا ليس هذا هو الاتجاه الوحيد، وهو الأضعف على أى حال، فالاتجاه الأقوى هو الذى يتحدث عن مراجعة أخطاء الجيش فى الحرب على لبنان، وتطوير إستراتيجياته لمواجهة التحديات المستقبلية؛ أى معالجة القصور فى الأداء العسكرى، وليس فى التوجه السياسى العام للدولة؛ فمثلاً اعتبر شيمون بيريز - نائب رئيس الوزراء - فى مقالة نشرتها صحيفة الجارديان البريطانية؛ أن على إسرائيل استخلاص الدروس من الحرب فى لبنان، وإعادة النظر فى مقاربتها للمسائل العسكرية (. . .): لقد اختبرنا فى لبنان شكلاً جديدًا من أشكال القتال. مؤكدًا أن على إسرائيل التركيز على التكنولوجيا الجديدة، خاصة الإنسان الآلى المسيَّر عن بُعد الذى يعمل فى ساحة المعركة. مع الاحتفاظ بقواتها الدفاعية

التقليدية لمواجهة أى هجوم محتمل من جيش كلاسيكى، ويُبشِّر بيريز الإسرائيليين بتطوير منظومة جديدة من الأسلحة الرادعة، مؤكدًا أنه منذ اليوم يمكن القول: إن فى إسرائيل مجموعة من العلماء المتازين القادرين على إنشاء منظومة أسلحة ووسائل دفاعية حديثة وجديدة: «تكنولوجيا دقيقة وصغيرة ـ Nano Tech»؛ مما يمكِّن الجيش من إصابة أفراد العدو، وتوفير حماية شخصية لجنوده(٣١).

أما يسرائيل هارئيل فكتب مقالة ذات عنوان شديد الإيحاء: «إسرائيل بحاجة لإستراتيجية الضربات الاستباقية قبل أن تتحول إلى مكان خطير على اليهود أنفسهم»، وقال فيها: «إخفاقات لبنان قد تكرر نفسها بصورة أشد صعوبة إذا لم تتغير النظرة إلى الأمن القومى، فأنماط التفكير الميدانية التى سيطرت إبان الحرب فى لبنان ستبقى مهيمنة على الوعى والقتال فى الحرب الوجودية التى ستُفرض علينا ضد إيران (. . .). هناك إجماع على أن حرب لبنان نشبت متأخرة لسنوات عدة، كل ذلك فى الأساس بسبب قيود الشرعية التى قيدت إسرائيل بها نفسها طوال أكثر من ثلاثة عقود، نحن تنازلنا بأيدينا عن النظرية التى قامت عليها الرؤية الأمنية، والحياة فى إسرائيل: الحق فى الهجمة المضادة المسبقة، فبسبب سيطرة السعى لتوخى النهج السليم سياسيًا وعسكريًا أخرجنا من النقاش الحق فى توجيه ضربة مضادة وقائية (هذا تكرر مع مصر عام ١٩٦٩م، وفى حرب يوم الغفران، وفى عدم ضرب حزب الله خلال السنوات الست الماضية).

إن مشاعر عدم الشرعية كانت أحد العوامل من وراء تجنب العملية العسكرية البرية أيضًا فى الحرب الأخيرة على لبنان، وعدم القدرة على هزيمة حزب الله؛ وهذا ما سيحدث أيضًا عندما سنكون على قناعة مثلما حدث عشية حرب الغفران بأن سوريا توشك على الهجوم، هذا ناهيك عن إيران التى قد تبدأ بالهجوم. الجبهة الداخلية هى التى ستدفع الثمن مرة أخرى، وبأحجام ومقاييس لم نعهدها من قبل. من دون التوبة فى هذه القضية المصيرية (أى من دون عودة مُعلنة وخالية من التعقيدات لنظرية الضربة المضادة المسبقة)؛ سيكون الملجأ الآمن لليهود (أى دولة إسرائيل) هو أخطر مكان عليهم، وعلى وجودهم(٣٢).

ويرى الكاتب رون تيرا أن جوهر الفشل الإسرائيلى فى حرب لبنان يكمن فى الانحلال الذى لحق بالتصورات الإسرائيلية للقوة العسكرية، وكيفية استخدامها؛ حيث ساد التصور بأن التهديد الجوهرى لدولة إسرائيل يأتى من الدول الواقعة فى الدائرة الثانية مثل إيران التى

أشار إليها هذا المقال تحت مصطلح الدائرة غير التقليدية، ومن الفلسطينيين؛ أى الدائرة الداخلية وليس من الدائرة الأولى؛ أى الدائرة التقليدية التى تشمل الدول العربية المحيطة بإسرائيل (وهو يقصد لبنان بالطبع).

ويقول تيرا: لقد ساد الانحلال على ثلاثة مستويات:

١ ـ الاعتقاد الذى ساد خلال العقد الأخير بأن احتمالية اندلاع الحرب مع الدول المحاذية لإسرائيل متدنية.

٢ ـ الاعتقاد بأنه إذا اندلعت الحرب فى الدائرة الأولى.. رغم ذلك فإنه يكفى إسرائيل أن تقوم بكبح العدو بواسطة نيران دقيقة (أى قصف مدفعى وجوى)، وأنه لا توجد أهمية للمناطق البرية، وللتدريبات الأرضية فى عمق العدو.

٣ ـ التبنى المتحمس جدًا لأفكار العمليات الموجَّهة التى يتبناها الجيش الأمريكى؛ وهى أفكار تهدف لشلِّ الخصم، وليس إبادته من خلال ضرب قياداته ووسائل اتصالاته، وبعض مواقعه المركزية (مثلما فعلت أمريكا فى العراق ٢٠٠٣م)، لكن الأمريكيين أنفسهم اعتبروا أن تطبيق هذه الأفكار يفترض توفر ثلاثة شروط:

(أ) أن العدو مبنى كجهاز مُنظَّم.

(ب) أن بهذا الجهاز مفترقات حاسمة مثل: مراكز اتصال وإمدادات.

(ج) أن جهاز العدو ومواقعه المركزية الحاسمة معروفة جيدًا للطرف المهاجم. (وواضح أن الكاتب لا يرى أن أيًا من هذه الشروط الثلاثة ينطبق على حالة حزب الله).

ويختتم بقوله: «من المحتمل أن تكون حرب لبنان ٢٠٠٦م هى فيتنام إسرائيل؛ فإسرائيل حاولت مثلما فعلت أمريكا فى فيتنام؛ إخضاع تنظيم عصابات بواسطة القصف المدفعى والجوى، من دون مناورات مكثفة، واستخدمت قواتها بصورة متدرجة، بينما انكسرت الرغبة الشعبية فى ظل تزايد عدد المصابين، كما أن الدولة لم تقاتل بنية وعزيمة صافية، ومن خلال الالتزام بالانتصار.

الأنباء السيئة هى أننا فشلنا، أما الأنباء الجيدة فهى أن قواتنا النظامية والاحتياطية هى قوات جيدة وشجاعة وباسلة، وفى هذه المرة تمَّ استخدام هذه القوات بصورة غير صحيحة، لكن إسرائيل نهضت على أصوات صحوة الواقع، وحصلت على فرصة ثانية لتدارس أوضاعها وتحسين قدراتها»(٣٣).

استناداً إلى ما سبق يمكن توقع ما يشبه «الثورة» فى إعادة هيكلة الخطط العسكرية للجيش الصهيونى، وقد كلفت حكومة إيهود أولمرت بالفعل دان ميريدور بتشكيل لجنة تحت رئاسته لتغيير النظريات العسكرية الحربية، التى لم تتغير منذ عهد بن جوريون، وقد بلورت اللجنة مفهوماً جديداً للأمن الإسرائيلى استناداً إلى المرتكزات التالية(٣٤):

١ ـ إن تهديد الحرب التقليدية من قِبل العرب لم يعد يشكل التهديد المركزى لإسرائيل.

٢ ـ يجب توظيف طاقات أكبر فى مواجهة التهديد النووى الإيرانى.

٣ ـ إن أساليب الردع القديمة لم تعد عملية فى مواجهة مقاتلى العصابات.

٤ ـ هناك ضرورة للتزود بالمزيد من الطائرات بدون طيار من أجل حماية الطيارين.

***

خاتمة

لدى صانع القرار الإسرائيلى فى الفترة المقبلة خيارات متعددة، لكن البيئة الإستراتيجية المحيطة بالدولة تشهد تغييرات حقيقية؛ حيث تتزايد عملية التعقيد فيها، ويبدو أن الرؤى المختلفة فى كيفية تحقيق الأمن الإسرائيلى ستبقى متصارعة، ولن يُحسم الجدل لصالح أحدها بسرعة.

من أجل ذلك يشكل استخدام الأداة العسكرية خياراً سهلاً أمام صانع القرار، لا سيما أن إستراتيجية الضربات العسكرية المتقطعة ضد الشعب الفلسطينى لها مردود داخلى إسرائيلى إيجابى؛ حيث تُقنع الجمهور بأن قياداته السياسية والعسكرية لا تدخر وسعًا لحماية أمنه الشخصى.

يصعب فى الحقيقة توقع ازدهار التيار المنادى بضمان الأمن الإسرائيلى عن طريق إقامة علاقات تعاونية مع المحيط الإقليمى، ويبدو أن انضمام حزب إسرائيل بيتونيا لحكومة أولمرت هو مؤشر كافٍ يقول: إن أبواب السلطة باتت مشرَّعة أمام اليمين الإسرائيلى المتطرف.

وحتى لو افترضنا أن قيادات اليمين لا تحظى بالشعبية أو الجماهيرية فى ظل تدهور، أو أزمة القيادة فى إسرائيل بعد غياب شارون؛ فإن قيادات اليمين هى الأقدر على التجاوب

مع متطلبات المواطن الإسرائيلى الذى ما زال مؤمنًا بأن ما تفشل إسرائيل فى تحقيقه بالقوة يمكن تحقيقه بالمزيد من القوة.

باختصار تتجه الأمور نحو صدام واسع بين قوات الاحتلال وقوى المقاومة الفلسطينية فى غزة، وإسرائيل ستبذل جهدها لإقناع الغرب وأمريكا خصوصًا بالتعامل مع الملف النووى الإيرانى، فإن فشلت فلا مناص من أن تأخذ خيارها بيدها، والحصيلة أن عملية التسوية السياسية للصراع العربى/ الإسرائيلى ستدخل إلى مرحلة أخرى من السُّبات العميق، ويبقى خيار القوة الإسرائيلى قائمًا إلى أن يقضى الله أمرًا كان مفعولاً.

***

الهوامش :

١ ـ ورد في : إحسان مرتضى، «الأمن القومي الإسرائيلي بين الثوابت والمتغيرات»، شئون الشرق الأوسط، العدد ١١٥، صيف ٢٠٠٤، ص ٤٨ .

٢ ـ راجع تصريحات إيهود أولمرت في صحيفة الحياة ١٧/ ١١/ ٢٠٠٦ .

٣ ـ المصدر السابق.

٤ ـ لمزيد من التفاصيل : صحيفة الحياة ١٨/ ١١/ ٢٠٠٦ .

٥ ـ انظر : د. عزمي بشارة، التداعيات على إسرائيل، في : د. أحمد يوسف أحمد وآخرون، الحرب الإسرائيلية على لبنان : التداعيات اللبنانية والإسرائيلية وتأثيراتها العربية والإقليمية والدولية، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص ١٧٦، وأيضًا : سكوت ويلسون، أسلحة بدائية قد تعرض الدولة العبرية لانتفاضة باليتية : حرب الصواريخ . . تحدٍّ جديد لإسرائيل، صحيفة الاتحاد، (الإمارات)، ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ . وكذلك : د. هشام الحديدي، «ماذا تعني نتائج الحرب السادسة»، الأهرام، ١٥/ ٨/ ٢٠٠٦ .

٦ ـ أسَّس أفيغدور ليبرمان حزب «يسرائيل بيتينو» (إسرائيل بيتنا) في عام ١٩٩٩، وحصل الحزب في انتخابات الكنيست الخامسة عشرة على ٤ مقاعد، ثم حصل في الانتخابات التالية عام ٢٠٠٣ على ٧ مقاعد ضمن كتلة الاتحاد القومي. وبفضل دهاء ليبرمان خاض الحزب الانتخابات السابعة عشرة للكنيست في مارس ٢٠٠٦ منفردًا بدون الدخول في كتلة أخرى، فحصل على ١١ مقعدًا؛ حيث كان للتصويت الاجتماعي هنا أثر ملحوظ؛ حيث ذهبت أغلب أصوات اليهود الروس لحزب ليبرمان، وهم يمثلون ١٦,٥٪ من مجموع أصحاب حق الاقتراع في إسرائيل. راجع : ريمون ماهر كامل، معسكر اليمين . . تراجع الليكود وصعود كاديما، في : د. عماد جاد (محرر)، انتخابات الكنيست السابعة عشرة : تقدم معسكر الوسط، القاهرة مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٦، ص ١٢١ .

٧ ـ ينبغي الإشارة إلى أن بعض الدراسات العربية الجادة كانت قد أطلقت على انتفاضة الأقصى «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة»، خصوصًا بعد اجتياح قوات الاحتلال للضفة الغربية أواخر مارس ٢٠٠٢، لكن هذا المصطلح لم ينتشر على أي حال. راجع على سبيل المثال : أحمد إبراهيم محمود، «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة : الإستراتيجيات العسكرية للمواجهة بين الفلسطينيين وإسرائيل»، في : د. عماد جاد (محرر)، انتفاضة الأقصى : طموح الفكرة وأزمة الإدارة، (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٢)، ص ص ٢٠٥ ـ ٢٩٢ .

٨ ـ أصدر الكاتب البريطاني مارتين وولاكوت كتابًا عنوانه «ما بعد السويس ـ After Suez» قارن فيه بين تورط بريطانيا في العداون الثلاثي عام ١٩٥٦ وبين تورط الولايات المتحدة وبريطانيا في غزو العراق ٢٠٠٣، وخلص إلى أن عدم نجاح واشنطن ولندن في العراق سيؤدي إلى تغيير جذري في الرؤى الإستراتيجية للتعامل مع العالم العربي فيما بعد العراق. راجع أحمد أصفهاني، «هل تساعدنا حرب السويس على فهم نتائج غزو العراق»، صحيفة الحياة، ٢٤/ ١١/ ٢٠٠٦ .

٩ ـ د. عزمي بشارة، مصدر سابق، ص ١٧٥ .

١٠ ـ راجع في هذا المعنى : د. جمال حمدان، ٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية، سلسلة كتاب الهلال، (القاهرة : دار الهلال، أكتوبر ١٩٩٧، العدد ٥٦٢)، ص ص ٤١٦ ـ ٤٢٠ .

١١ ـ انظر المصدر السابق، ص ٢٢٠ .
١٢ ـ راجع . موجز يوميات الوحدة العربية عن شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٦، المستقبل العربى، العدد ٣٣٢، أكتوبر/ تشرين أول ٢٠٠٦، ص ٢٠٨ ، والرقم ورد فى صحيفة السفير ١٣/ ٨/ ٢٠٠٦ .
(**) هذه الأوصاف للمجتمع الإسرائيلى وردت على لسان العالمين الإسرائيليين يسرائيل أومان وأهارون تشاخوفر الفائزين بجائزة نوبل لعام ٢٠٠٦م فى حديث لهما مع صحيفة «يديعوت أحرونوت» . راجع صحيفة الحياة ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٦م، ص٤، وأيضًا : رشيد قويدر، إسرائيل وتداعيات إخفاق القوة، صحيفة الحياة ٤/ ١١/ ٢٠٠٦م، ص١٠ .
١٣ ـ راجع تصريحات بيريز فى الحياة، ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٦ .
١٤ ـ بتصرف عن: جدعون ليفى، حرب سلامة الجيش الإسرائيلى، هاآرتس ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦، مترجم فى: أحمد أبو هدبة، «٣٣ يوم حرب على لبنان: أطول الحروب وأكثرها فشلاً وتكلفة، القاهرة، مركز الدراسات الفلسطينية، توزيع مكتبة مدبولى، ٢٠٠٧، ص ١٤١ ـ ١٤٣ .
١٥ ـ باروخ كيمرلينغ، «حرب ثقافات»، هاآرتس ٧/ ٦/ ١٩٩٦ مترجم فى: **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد ٢٧، صيف ١٩٩٦، ١٠٥ ـ ١٠٧ . وحول محاولة اختراع هوية إسرائيلية موحدة انظر:
- Baruch Kimmerling, The Invention and Decline of Israeliness: State, Society and the Military 2001, University of California Press, Berkely and los Angeles.
١٦ ـ راجع: إلياس شوفانى، «مؤتمرات هيرتسليا الأربعة السابعة»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٦٠/ ٦١، خريف ٢٠٠٤/ شتاء ٢٠٠٥، ص ١٤٩ .
١٧ ـ انظر: محمد وقيف، «الصحافة الإسرائيلية»، **الاتحاد** (الإمارات)، ٩/ ٨/ ٢٠٠٦ .
١٨ ـ راجع صحيفة الحياة ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٦ .
١٩ ـ عوزى بنزيمان، «عرب إسرائيل يتخطون الحدود»، هاآرتس ٢٠/ ٩/ ٢٠٠٦ ، مترجم فى: **مختارات إسرائيلية**، العدد ١٤٢، أكتوبر، ص ٥٨ ـ ٥٩ .
٢٠ ـ انظر: دان هوروفيتس، الثابت والمتغير فى النظرية الأمنية الإسرائيلية، فى: أ. إيلون وآخرون، **الثابت والمتغير فى الإستراتيجية الإسرائيلية**، ترجمة: المنار للصحافة والنشر المحدودة، نيقوسيا، ١٩٨٦، ص٣٣ ـ ٣٤ .
٢١ ـ راجع على سبيل المثال: صالح النعامى، حرب لبنان.. وسقوط نظرية الأمن الإسرائيلى، موقع الإسلام اليوم، فى ١٥/ ٨/ ٢٠٠٦م على الرابط:
www.Islamtoday.net/print. cfm?artid=7776.
٢٢ ـ بتصرف عن: د. عزمى بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة فى تناقض الديموقراطية الإسرائيلية، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م)، ص ٩٢ .
٢٣ ـ المصدر السابق، ص٩٤ .
٢٤ ـ راجع: دان هوروفيتس، مصدر سابق، ص٣٥ ـ ٣٧ .
٢٥ ـ نقلاً عن الدراسة القيِّمة للدكتور هيثم الكيلانى وعنوانها: دراسة فى مستقبل القوة العسكرية الإسرائيلية، فى: د. أحمد صدقى الدجانى (منسِّق)، الحركة الصهيونية والصراع العربى/ الإسرائيلى فى مائة عام: دروس الماضى وآفاق المستقبل. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٥٢ ـ ١٥٣).

٢٦ـ انظر: د. حسن براري، أمن إسرائيل: صراعات الأيديولوجيا والسياسة، كراسات إستراتيجية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد ١٤٣، سبتمبر ٢٠٠٤م، ص١٥ ـ ٢١ .

٢٧ـ لمزيد من التفاصيل راجع: د. إبراهيم أبو جابر، «الانعكاسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للانتفاضة على إسرائيل»، مجلة دراسات شرق أوسطية، (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط)، العدد ١٤، السنة الخامسة، شتاء ٢٠٠٠/ ٢٠٠١، ص٣٠ .

٢٨ـ إيتان هابر، «زيادة القلق الإسرائيلي من قدرة إيران النووية بعد إجراء كوريا الشمالية لتجربتها»، يديعوت أحرونوت، ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٦م، مترجم في صحيفة القدس العربي، ١١/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

٢٩ـ انظر: توفيق المديني، مفاجأة عجز القوة الصهيونية، حوار العرب، (بيروت: مؤسسة الفكر العربي)، العدد ٢٣، أكتوبر ٢٠٠٦م، السنة الثانية، ص٨٩، وحول تصريح شارون راجع: صحيفة الحياة ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٥م، ص١ .

٣٠ـ جدعون ليفي، «بفضل الفشل»، هاآرتس ١٣/ ٨/ ٢٠٠٦م، مترجم في: مختارات إسرائيلية، العدد ١٤١، سبتمبر ٢٠٠٦، ص٤٦ ـ ٦٥ .

٣١ـ نقلاً عن: نواف الزرو، تساؤلات على الأجندة الحربية الإسرائيلية بعد الهزيمة، الجزيرة نت، الأحد ٢٤/ ٩/ ٢٠٠٦م على الرابط:
www.aljazeera.net/NR/exeres/BAEDSFEA-C828-4F89-99F9-DDB98AA9C439.htm.

٣٢ـ نقلاً عن: يسرائيل هرئيل، «إسرائيل بحاجة لإستراتيجية الضربات الاستباقية قبل أن تتحول إلى مكان خطير لليهود أنفسهم: بقاء الجنرالات الذين خسروا الحرب في مناصبهم يعني مواصلة الإخفاقات»، هاآرتس ٢١/ ٩/ ٢٠٠٦م، مترجم في: القدس العربي، ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦م.

٣٣ـ نقلاً عن: رون تيرا، «إسرائيل فشلت بسبب إستراتيجيتها القديمة، وحرب لبنان الثانية هي فيتنام إسرائيل»، هاآرتس ٨/ ٩/ ٢٠٠٦م، مترجم في القدس العربي، ٩/ ٩/ ٢٠٠٦م.

٣٤ـ راجع: نواف الزرو، مصدر سابق.

***

٢١ ـ أثر الحرب على الداخل اللبنانى: الأزمة وأبعادها الإقليمية والدولية

د. رضوان السيد(*)

مقدمة

لا شك أن لبنان دولة مختلفة فى أبعادها السياسية وأزماتها الداخلية عن مصر بشكل كبير؛ فمنذ إبرام اتفاق القاهرة عام ١٩٦٠ فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر، الذى حضره وزير الدفاع اللبنانى وياسر عرفات، إلا أن الأمور لم تستقر فى لبنان حتى الآن.

فالدستور اللبنانى كان قديمًا ينص على أنه من حق رئيس الجمهورية تعيين وإقالة رئيس الوزراء، أما حديثًا فلا يحق له ذلك، يضاف إلى ذلك أنه فى السبعينيات قامت الحكومة اللبنانية بسحب الجيش اللبنانى من الجنوب، وتركه لقوات المقاومة للدفاع عن الجنوب ضد إسرائيل.

على جانب آخر وبعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وهجرة العديد من الفلسطينيين إلى لبنان؛ فقد استقبلهم السنة فى لبنان، وأعطوا لهم أرضًا، وازدادت العلاقة بين السنة والفلسطينيين المهاجرين إلى لبنان، حتى إنه فى عدد من المخيمات فى لبنان كانوا يطلقون على الفلسطينيين جيش السنة.

من ناحية أخرى ونتيجة للصراع بين السنة والفلسطينيين من جانب، والقوى والطوائف اللبنانية من جانب آخر سواء مسيحيين أو شيعة؛ حدثت الحرب الأهلية فى لبنان فى السبعينيات، ثم تبع ذلك خراب ودمار فى لبنان، يضاف إلى ذلك الغارات الجوية الإسرائيلية على جنوب لبنان، التى أدت إلى صعوبة الموقف؛ فالحكومة كانت عاجزة إلى حد ما وقت ذلك عن السيطرة على الموقف.

(*) أستاذ الفكر الإسلامى ـ والمستشار السياسى لرئيس الوزراء اللبنانى فؤاد السنيورة.

لقـد جـاء التـدخـل السـورى فى لبنان فى الوقت الذى كـانت فـيـه القـوى الوطنيـة مع الفلسطينيين تحقق مكاسب على المسـيحـيـين، ونحن نعلم جـيداً أن دخـول السـوريين فى الجيش اللبنانى كان بإذن من الولايات المتحدة والغرب الأوروبى، وكـان تواجدهم بشرط مـوافـقـة إسـرائيل أيضـًا، وكـان لا يسـمح لهم بالتـواجـد فى الجنوب اللبنانى، والهـدف الأمريكى والإسرائيلى من إشراك السـوريين فى الجيش اللبنانى هو القـضـاء على القوى الوطنية فى الداخل، سواء الإسلاميين السنة، أو الفلسطينيين المهاجرين، ونجحوا فى ذلك عن طريق طرد ياسـر عـرفـات ورفـاقـه من بيـروت، وضـرب المخـيـمـات بسـلاح سـورى مستخدمين حركة أمل كيد للتنفيذ، ولكن كان فى ذهن القيادة الإسرائيلية أن السوريين لا يستطيعون القضاء بسرعة على القوى الوطنية، فلجؤوا إلى احتلال لبنان عام ١٩٨٢ فيما عـرف بعـد ذلك بمذبحـة صـبـرا وشـاتيـلا فى الجنوب اللبنانى على يد شـارون. ومنذ عـام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٩ استمرت لبنان فى صراع دائم.

عـام ١٩٨٩ شـهـد عـقـد اتفـاق الطائف وتوزيع السـلطة فى الداخـل اللبنانى (٥٥٪ من السلطة للمسيحيين، و٤٥٪ من السلطة للمسلمين، ولكن مع زيادة عدد المسلمين أصبح تقاسم السلطة كالتالى: ٥٠٪ للمسيحيين و٥٠٪ للمسلمين)، وأن يكون رئيس الجمهورية مسيحيًا مارونيًا، ورئيس الوزراء مسلمًا سنيًا، وتمثل الطوائف فى لبنان فى البرلمان على حسب عدد سكانها.

وبعـد اتفـاق الطائف وتقـاسـم السـلطة ظل ١٥٪ من الأرض اللبنانيـة مـحـتـلا عـلى يد إسرائيل. ونريد أن نؤكد أنه بعد اتفاق الطائف أصبحت كل من سوريا والسعودية تلعب دورًا قويًا داخل لبنان؛ حيث أصبح رئيس الوزراء الحريرى مخصصًا للاقتصاد والازدهار اللبنانى، وحـزب الله للمـقـاومـة والدفـاع فى الجنوب اللبنانى، وبـاقى الحـركـات الوطنية المسلحـة تتـحـرك داخـل لبنـان. وبذلك أطلقت الإدارة الأمريكيـة اليد السـورية فى لبنان بعد إرسـال سـوريا قـوات إلى الكويت عقب احـتـلال صـدام للكويت، وكـان ذلك مكافأة أمريكية لها.

ونـلاحظ أيضـًا أن سـوريـا كـانت تميـل إلى إيـران فى حـربـهـا مع العـراق، وكـانت تلعب دور الوسيط بيـن السـعـودية وإيران، وهناك تركـيـز للوجـود السـورى الإيرانى فى الجنوب اللبنانى.

ومنذ عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠٦ حدثت تغيرات كثيرة أثرت على الوجود السورى السعودى فى لبنان؛ فبعد موت حافظ الأسد وتولى بشار الأسد الحكم ضعف الوجود السورى، خاصة بعد مقتل الحريرى وما تلاه من خروج سوريا من لبنان، يضاف إلى ذلك أيضًا أن الحريرى كان رمزًا للوجود السعودى، بما يحد من الوجود والوصاية السورية فى لبنان، ومقتله فى ٢٠٠٥ كان سببًا رئيسيًا فى تردى الوجود السورى السعودى فى لبنان، وحدثت بعد ذلك انتخابات برلمانية غيرت مجرى الحياة السياسية فى لبنان.

على الجانب الآخر وبعد انسحاب الجيش الإسرائيلى من جنوب لبنان على يد حزب الله؛ انتشر حزب الله فى لبنان وأصبح هو المقاوم الرئيس فى الجنوب، وحدثت عمليات شد وجذب بين حزب الله وإسرائيل فى مزارع شبعا التى تعترف إسرائيل أنها جزء من سوريا، وليست جزءًا من لبنان، وأنها تحتلها لأن مزارع شبعا جزء من هضبة الجولان، وإسرائيل تحتل الجولان، وتريد سوريا من إسرائيل الاعتراف أمام الأمم المتحدة أن مزارع شبعا جزء منها حتى يتأتى لها التفاوض بشأنها.

بعد اغتيال الحريرى وحدوث انتخابات برلمانية وخروج الجيش السورى من لبنان؛ بدأت سوريا تميل إلى إيران، وتشكل محورًا إقليميًا معها، وتغيرت الخريطة السياسية. ومن الجدير بالملاحظة أن كل الاتجاهات التى كانت تؤيد الوجود السورى فى لبنان قد سقطت فى الانتخابات البرلمانية اللبنانية.

وأنا عندما كنت فى الولايات المتحدة وعندما كنت مدرسًا فى إحدى جامعاتها، ومتخصصًا فى دراسة الإسلام السياسى والحركات السياسية الإسلامية الأصولية والفكرية؛ تبين لنا أنه بعد عام ٢٠٠١ كان هناك مخطط فى الولايات المتحدة لاحتلال الطرق والقضاء على النظم السنية فى المنطقة العربية؛ لأن هذه النظم السنية المحافظة فى الخليج العربى هى عائق أمام التوسع الأمريكى فى الشرق الأوسط، وترفض مفهوم الهيمنة الأمريكية.

وما حدث فى نيويورك وواشنطن عام ٢٠٠١ (هجمات سبتمبر) كان نتيجة عداء الفكر السنى الأصولى للمخطط الأمريكى؛ فالمسئولون عن الحادث كلهم من الخليج العربى، ويأتى على رأسهم زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، وبذلك اتضح أنه لا بد من تحويل النظم المحافظة فى الخليج العربى - حتى لو كانت مؤيدة للنظام الأمريكى وأشدها

حماسًا له - إلى نظم ديموقراطية وفقًا للطريقة الأمريكية، وشهدت الفترة من عام ٢٠٠٢ إلى عام ٢٠٠٦ مهادنة مع إيران؛ لأن المسلمين الشيعة لا خوف منهم على الديموقراطية الأمريكية؛ لأن الشيعة لهم فقيه يمكن الاتفاق معه، بينما السنة مقسمون إلى أحزاب مختلفة؛ فإيران دولة إقليمية كبيرة تطل على المنطقة العربية من المحيط الهندى والخليج العربى إلى الفرات، ولم تعبر إلى المنطقة العربية منذ عهد الدولة الساسانية، وبعد هزيمة هرقل لهم وانتشار الإسلام فى المنطقة العربية. منذ عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠٠٦ كان لهذا الاتجاه تأثير كبير على المنطقة العربية، كما بدأ (فى هذه الفترة من عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠٠٦) صعود حزب الله يقوى فى الجنوب اللبنانى تحت سمع وبصر الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن فى أواخر عام ٢٠٠٥ بدأت المهادنة الأمريكية مع إيران تقل، خصوصًا مع التهديدات الأمريكية لإيران بفرض عقوبات عليها، أو توجيه ضربات عسكرية لها على غرار ما فعلت فى العراق. بدأت إيران تستفيد من النفوذ الممتد لها فى الوطن العربى فى مواجهة الولايات المتحدة، خصوصًا عندما بدأت تحرك حزب الله وحماس أيضًا فى مواجهة إسرائيل، وبدأت تحرك النظام السورى فى مواجهة أمريكا، ثم بعد ذلك جاء تعاون المخابرات الإيرانية مع حركة طالبان فى أفغانستان.

ثم أتى النفوذ الشيعى فى العراق، وخصوصًا بعد النكسة التى تعرضت لها الولايات المتحدة؛ فهناك كل هذه التحركات التى بدأتها إيران فى مواجهة الولايات المتحدة نتيجة نشاطات إيرانية فى المنطقة العربية خلال الفترة من ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٦، وهى تمثل بذلك تحديًا للنظام الأمريكى الذى يتهم إيران بحيازة أسلحة نووية ويهدد بفرض عقوبات عليها.

وفى نفس الوقت بدأت إيران تقوى علاقتها مع سوريا والصين والهند لتشكيل محور لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، التى عندما شعرت بفشلها فى العراق بدأت تستعين بالاتحاد الأوروبى وروسيا للمشاركة معها فى حربها على العراق، وفى هذا الوقت وفى ١٢ تموز (يوليو) ٢٠٠٦ اندلعت الحرب الإسرائيلية على لبنان لقيام حزب الله بأسر جنديين إسرائيليين، واستمرت ٣٣ يومًا صمد فيها حزب الله ولم يضعف، وتم تدمير البنية التحتية اللبنانية فى الجنوب اللبنانى، وضرب معاقل حزب الله، وفى ذلك الوقت قامت الحكومة اللبنانية أثناء الحرب بعقد جلسة طارئة (الحكومة اللبنانية مشكلة كما هو معروف من عدد من الطوائف اللبنانية، ولحركة أمل وحزب الله وزراء فيها) واتخذت القرارات الآتية:

- وقف إطلاق النار فى الجنوب اللبنانى .

- إعادة فرض الجيش اللبنانى فى الجنوب تمهيداً للسيادة الكاملة للدولة اللبنانية على جميع أراضيها .

أولاً: بداية الأزمة داخل لبنان: تفكك الحلف السورى/ السعودى

جاء قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ بوقف إطلاق النار إلينا فى مجلس الوزراء اللبنانى، ووافقنا عليه بالإجماع والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل كانوا يريدون أن تستمر الحرب أكثر من ذلك حتى يستمر الخراب والدمار للشعب. ويجب أن نعرف جيداً أن القرارات فى الحكومة اللبنانية الحالية التى يتزعمها فؤاد السنيورة لا تتخذ إلا بالإجماع، فعند غياب أحد الوزراء لا يتخذ القرار فى الحكومة، ونريد أن نوضح أن حكومة السنيورة عمرها سنة و٥ أشهر، ولم تتخذ أى قرارات فى حالة انسحاب أو غياب وزير؛ أى إن القرار يصدر بالإجماع فى الحكومة اللبنانية، وقد حدثت الأزمة اللبنانية بداية من خطاب السيد حسن نصر الله فى خطابه المعروف باسم النصر لله الذى اتهم فيه الحكومة اللبنانية بأنها حكومة عميلة للولايات المتحدة الأمريكية؛ وهو ما ترافق مع انسحاب ٦ وزراء شيعة من الحكومة لخلق أزمة دستورية يقصدون منها تعطيل مجلس الوزراء اللبنانى وحل الحكومة الحالية، حتى يصبح لبنان بدون حكومة، وقام هؤلاء الوزراء بالنزول إلى الشارع والوقوف إلى جانب المعارضة لإجبار الحكومة على الاستقالة، وكان الوزراء الستة قد ألمحوا باستقالتهم منذ ٦ أشهر لرفضهم الموافقة على قرار الحكومة اللبنانية بالسماح بتشكيل محكمة دولية للتحقيق فى اغتيال الحريرى، إلا أن حكومة السنيورة قد أصدرت قراراً بحضور ثمانية عشر وزيراً من بين أربعة وعشرين وزيراً بالموافقة على تشكيل محكمة دولية للتحقيق فى اغتيال الحريرى .

وبعد استقالة الوزراء الستة من الحكومة ودعوة رئيس الحكومة للرئيس اللبنانى لحضور اجتماع مجلس الوزراء للتصويت على المحكمة؛ رفض رئيس الجمهورية اللبنانية ذلك بحجة أن مجلس الوزراء لا يحتوى على طائفة مهمة وأساسية فى لبنان، وهى طائفة الشيعة (الوزراء الستة المستقيلون) وقد رفض رئيس الوزراء استقالة هؤلاء الوزراء ودعاهم للعودة للعمل مرة أخرى .

وقبل ذلك كان قد قام ١٤ عضواً من البرلمان اللبنانى بتوجيه رسالة إلى كوفى أنان أمين عام الأمم المتحدة يخبرونه أنهم أجبروا على التصويت للتمديد لرئيس الجمهورية لعماد إيميل لحود؛ فالمعارضة الآن تريد إسقاط الحكومة اللبنانية التى لم يمر على توليها مقاليد الحكم سنة و٥ أشهر، بينما الحكومة لا تسقط إلا بشيئين: **الأول:** سحب الثقة من مجلس النواب وهذا لم يحدث، **والثانى:** وهو فقدها الأغلبية وهذا لم يحدث.

والرئيس اللبنانى العميد إيميل لحود يقف الآن مع المعارضة للإطاحة بحكومة السنيورة، وهو منذ البداية يساندهم، وهم بذلك قد جددوا له سنة كاملة لرد الجميل.

الصراع الآن فى لبنان ليس بين المسلمين والمسيحيين كما تعودنا، ولكن بين السنة والشيعة، والمسيحيون يقفون فى الوسط، يرون ماذا يحدث، وهذا وضع لم نتعود عليه قبل ذلك؛ فقد صرح حسن نصر الله زعيم حزب الله أن الحكومة رفعت يدها عن الإعمار فى لبنان، وهذا لم يحدث، بدليل أن هناك ٢٤٠ قرية مدمرة فى لبنان تم صرف التعويضات لها، وبدأت عملية الإصلاح لـ١٠٤ قرى؛ فبعد أشهر قليلة ستكون هناك انتخابات رئاسية فى لبنان، والمرشح لها بقوة الجنرال عون الذى له تكتل كبير سواء داخل البرلمان، أو الحكومة اللبنانية، وسيكون لذلك تأثير كبير على المسرح السياسى اللبنانى.

ثانيًا: البعد الإقليمى والدولى للأزمة: الصراع بين الولايات المتحدة وايران

الجزء الثانى من الصراع فى لبنان هو صراع إقليمى. . هناك صراع إقليمى خاص بلبنان وهو مع سوريا؛ فبعد سقوط كل أنصار سوريا سواء داخل الحكومة أو البرلمان اللبنانى أدى ذلك إلى زيادة التوتر داخل سوريا، خصوصًا مع موافقة الحكومة على تشكيل محكمة دولية لاغتيال الحريرى، والاتهام الرئيس يوجه إلى سوريا فى اغتيال الحريرى، وقد جاءت استقالة الوزراء الستة للتعبير عن رفضهم تشكيل المحكمة الدولية الخاصة بالتحقيق فى هذا الاغتيال، والذى يمثل اتهامًا صريحًا للنظام السورى بالتورط فى اغتيال الحريرى، وهؤلاء الوزراء هم شيعة تابعون لحزب الله التابع لإيران.

ونعرف جيدًا مدى عمق العلاقة الإستراتيجية بين إيران وسوريا، وأن النظام السورى بعد العزلة العربية المفروضة عليه يعتمد الآن فى وجوده على النظام الإيرانى، يضاف إلى ذلك قيام سوريا بإمداد حزب الله بالسلاح أثناء الحرب، وسوريا هى حلقة الوصل بين إيران وحزب الله.

هذا الصراع الدائر فى المنطقة هو فى الأساس ذو بعد دولى . . . ويتمثل هذا البعد الدولى فى الصراع بين الولايات المتحدة وإيران الموجود الآن فى لبنان ؛ فالولايات المتحدة تصرح بأن النفوذ الإيرانى موجود فى لبنان ممثلاً فى حزب الله ، وإيران تقول إن النفوذ الأمريكى موجود فى لبنان متمثلاً فى حكومة السنيورة .

وهكذا يستمر النزاع بين الولايات المتحدة وإيران من خلال الصراع بين القوى السياسية فى لبنان وتحديداً بين حكومة السنيورة وحزب الله .

فبعد عام ٢٠٠٥ والتهديد الأمريكى لإيران بفرض عقوبات عليها عقابًا لها على برنامجها النووى؛ وبل ومنذ عام ٢٠٠١ ؛ بدأ النفوذ الإيرانى يزداد فى الخليج والعراق وسوريا ولبنان؛ وذلك جزء من الصراع بين الولايات المتحدة وإيران؛ فلبنان يوجد فيها ٢ مليون مسلم تقريبًا ، وهناك اغتيالات تتم داخل لبنان كان آخرها الوزير اللبنانى السابق؛ وهو مسيحى من عائلة سياسية كلها رؤساء ووزراء . فالحرب بين الولايات المتحدة وإيران انتقلت إلى داخل لبنان ، وأصبح لبنان مسرحًا للصراع بين الولايات المتحدة وإيران .

ثالثا: نحو حل عربى للأزمة

ومع هذا الصراع فإن الموقف فى لبنان لن يتم حله إلا بحلٍّ عربى وموقف عربى موحد؛ ذلك أنه بعد خروج مصر من حلقة الصراع العربى الفلسطينى بعد اتفاق كامب ديفيد ، والنزاع بين سوريا والسعودية خصوصًا بعد اغتيال الحريرى ووصول بشار إلى الحكم ، وخروج سوريا من لبنان؛ أصبحت إيران هى الفاعل الرئيس فى لبنان عن طريق حزب الله ، وبعد هزيمة الولايات المتحدة فى العراق بدأت تستعين بالاتحاد الأوروبى للخروج من الأزمة فى العراق ، وأيضًا تستعين بروسيا ، فضلاً عن الاستعانة بالأنظمة العربية الحاكمة فى المنطقة؛ لمساعدتها لحل أزمتها ، وحتى يتم تفتيت التحالف الإيرانى/ الروسى؛ وهو ما يفسر الرغبة الأمريكية فى فك الحصار عن بعض التكتلات الدولية للمساعدة فى خروجها من أزمتها الراهنة فى العراق .

فبعد فشل الولايات المتحدة فى حربها داخل العراق ، وفشل إسرائيل إستراتيجيًا حتى الآن (فقد انسحبت من الجنوب اللبنانى عام ٢٠٠٠ ، ثم بعد ذلك انسحبت من غزة ، وأصبحت تعتمد فى بقائها على الولايات المتحدة والغرب)؛ يجب على العرب فى هذا

الوقت أن يتحدوا ضد الولايات المتحدة، فهناك غياب من قبل الجانب المصرى عن التواجد على الساحة العربية . . هذا الغياب والفشل من الجانب المصرى لا يتمثل فى وجوب القيام بدور عسكرى؛ وإنما يتمثل فى غياب وضع إطار للتسوية، فيجب ألا يقتصر الدور المصرى على التنسيق بين حماس وفتح فقط؛ بل يجب أن يمتد إلى مستوى أكبر من ذلك؛ لأن الدور المصرى مهم ومؤثر على الساحة العربية .

فالملاحظ على الساحة العربية هو غياب الدور العربى، وحضور الدور الإيرانى والتركى على حد سواء؛ فتركيا لم تفعل شيئًا حسنًا أو سيئًا، ولكن إيران أصبح لها نفوذ داخل العراق وسوريا ولبنان؛ فهل إيران من مصلحتها إقامة دولة فلسطينية موحدة عاصمتها القدس أكثر من العرب؟ وهل إيران تريد مستقبلاً مشرقًا للبنان؟ لا أعتقد ذلك . . وعندما تسأل الإيرانيين عن سبب تواجدهم فى لبنان يقولون لمواجهة الأمريكان؛ فلماذا لا يذهب الإيرانيون إلى العراق ليحاربوا الأمريكان، مع أن أغلبية سكان العراق هم من الشيعة؛ أى إن حوالى ٧٠٪ من العراقيين شيعة، فإذا كانت إيران تريد مصلحة المسلمين فلماذا اقترحوا الفيدرالية فى العراق؛ فالسبب الرئيس فى حضور الدور الإيرانى التركى فى المنطقة العربية هو غياب الدور العربى؛ فإيران هى من ضمن المقترح الأمريكى لمشروع الشرق الأوسط الكبير الذى يضم دولاً إقليمية غير عربية؛ فنحن العرب لا نلوم إلا أنفسنا، وكل ما يحدث من أزمات هو نتيجة غياب الدور العربى .

وأخيرًا أود أن أبدى بعض الملاحظات على نقاط هامة أثارتها دوائر الرأى العام بهذه المناسبة : بالنسبة للنقطة الخاصة بأن إسرائيل جزء من المشروع الصهيونى فى المنطقة؛ فهذا ليس صحيحًا؛ فلم يرد نص فى أى بيان صهيونى يشير إلى أن لبنان جزء من المشروع الصهيونى، وحتى إن استخدموا المياه سواء فى لبنان أو خارجها، فهذا لا يعنى أنها جزء من الكيان الصهيونى، بينما الهجوم الإسرائيلى على لبنان يرجع إلى وجود الفصائل الفلسطينية فى لبنان التى هاجرت من فلسطين إلى لبنان، واتخذت من أرض لبنان مركز حركة للهجوم على إسرائيل، فمنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٥ لم يحدث أى هجوم إسرائيلى على لبنان وبعد هزيمة ١٩٦٧، وانتقال بعض الفلسطينيين إلى لبنان وتركزهم فى الجنوب والقيام بعمليات استشهادية ضد القوات الإسرائيلية من الجنوب اللبنانى؛ أدى ذلك إلى الهجوم الإسرائيلى على لبنان .

وبالنسبة للقضية الفلسطينية وهل أضرت بالحرب نجد أن هذه القضية أدت إلى مزيد من الحروب وخاض العرب من أجلها العديد من الحروب بداية من حرب ١٩٤٨ حتى الآن، وإسرائيل هى التى أضعفت النظام العربى، وهى السبب فى النكسة التى يعيش فيها النظام العربى الحالى.

أما بالنسبة للمبادرة السعودية عام ٢٠٠٠ فقد ولدت ميتة فى الأساس، وللأسف الشديد فإنها مبادرة ليست فى إطار التسوية الشاملة وإنما كانت جزئية، وللأسف الشديد فإن العرب يفتقدون إلى الحل العسكرى مع إسرائيل؛ حيث إن إسرائيل فى البداية كانت تعتمد فى أمنها على توجيه ضربات جوية لحماية أمنها القومى، أما بعد الحرب الأخيرة على لبنان وبنائها للجدار العازل فهى تعتمد على هذا الجدار فى حماية أمنها، وأصبحت تفضل أن يكون هناك سلام مع الأطراف الأخرى، فبعد تحييد الدور المصرى وفصله عن القضية العربية بعد اتفاقية السلام مع إسرائيل لم يعد ممكنًا دخول العرب فى مواجهة عسكرية مع إسرائيل بدون مصر، فمصر لا بد أن تكون هى الأساس فى المواجهة العسكرية.

أما بالنسبة لأن حماس هى الطرف الوحيد المؤتمن على القضية الفلسطينية؛ فنلاحظ أنها طرف نشط يعمل من أجل القضية الفلسطينية، ومن ناحية أخرى نجد أن حماس عندما تجد أن هناك جدوى من المفاوضات والعمل مع الإسرائيليين لن تتأخر عن ذلك؛ فحماس لم تنجح فى الانتخابات البرلمانية من فراغ وإنما فى إطار شعبى مهد لها ذلك، وما يحدث الآن من صراع بين فتح وحماس مثل الذى حدث فى غزة لن يستمر طويلاً لأن الشعب الفلسطينى أذكى من الشعب اللبنانى، ولن يحدث فى فلسطين مثلما يحدث فى لبنان لأن الهوية فى فلسطين موجودة، فلا فرق بين عربى وإسلامى؛ فالهوية موجودة فى فلسطين وليس هناك ما يحدث فى لبنان من صراع طائفى بين المسلمين والمسيحيين؛ فالمسيحى مثل المسلم فى فلسطين الكل فلسطينى، بصرف النظر عن الدين أو العرق، وحماس عندما سترى أن طاولة المفاوضات جدية ستنضم إليها.

إن ما نراه فى المشهد اللبنانى وما يحدث فيه من صراع بين حكومة السنيورة وحزب الله لا يجب أن يلقى باللوم كله على حكومة السنيورة، ويصفها البعض بأنها حكومة أمريكية؛ فاستقالة الوزراء الستة من الحكومة جاء بسبب رفضهم التصويت على مشروع المحكمة الدولية الذى سيدين سوريا، ونحن نعلم جيدًا قوة العلاقة بين سوريا وإيران، وهؤلاء

الوزراء الستة هم شيعة يتبعون حزب الله ، فقبل ذلك كان حزب الله يرفض دخول الجيش اللبناني في الجنوب اللبناني على أساس أنه غير مؤهل ، ولكن بعد ذلك وافق على انتشار الجيش اللبناني في الجنوب ، وهذه خطوة ممتازة من حزب الله في لبنان .

أما بالنسبة للدور الإيراني في لبنان ؛ فنلاحظ أنه ليس من مصلحة إيران وجود صراع بين السنة والشيعة ؛ لأن إيران تريد أن تتزعم العالم الإسلامي بشمولية ، وليس عن طريق مذهبها الشيعي ؛ فعندما تقوم بخلق الصراع بين الشيعة والسنة في العراق وسوريا ولبنان وبعض الأقطار العربية سيصبح الشيعة غرباء في كل هذه الأماكن ، ولكن هي لا تريد ذلك .

وبالنسبة لولاية الفقيه في إيران فنجد أن هناك عرفية في السلطة الدينية والسياسية في إيران ، وليست كل القوى في إيران تتفق على اتباع ولاية الفقيه .

ولاية الفقيه في المذهب الشيعي تختلف عنها في المذهب السني ؛ فولاية الفقيه في المذهب الشيعي لها سلطة دينية ، بينما في المذهب السني ليست لها سلطة دينية ، فالفقيه في المذهب السني يقول فتواه ، وهي غير ملزمة سواء للدولة أو للشعب ، وقد فقدت المؤسسات الدينية السنية مكانتها في العالم العربي لتبعيتها للأنظمة العربية وعدم استقلالها .

أما بالنسبة للأصولية السنية الإسلامية ؛ فهناك أسباب أدت إلى ضعفها ، منها تبعية المؤسسات السنية للأنظمة الحاكمة ، فمثلاً في دولة مثل السعودية برغم ما تمتلكه من بترول إلا أن المؤسسة الدينية في السعودية موظفة لدى الدولة ، وعدد العاملين في المؤسسات الدينية في السعودية تجاوز ٣٠ ألف عامل ، وللأسف الشديد المؤسسات الدينية أصبحت تابعة للأنظمة العربية الحاكمة .

أما بالنسبة للنظام الشيعي في إيران ؛ فنجد أنه لم يحقق أهدافه ؛ حيث نجد أن ٣٦٪ من الإيرانيين تحت خط الفقر ، رغم أن إيران تدعم حزب الله بـ٣ مليارات دولار سنويًا ، وهي تختلف عن تركيا التي بدأت تركز أولاً على التنمية الاقتصادية ؛ فإيران دولة تعتمد على النفوذ داخل المنطقة العربية من خلال المد الشيعي ، والمذهب الشيعي ليس مثاليًا ، والمشكلة في المذهب السني أكبر ، خصوصًا أن المذهب السني عدد سكانه أكثر ، وبالتالي إذا فقد الأفراد الثقة في هذا المذهب الذي يعتنقه مليار و ٣٠٠ ألف ستكون المشكلة أكبر .

• التعقيب

د. حسن نافعة (*)

د. ناهد عزالدين (**)

د. حسن نافعة

هذه ليست المرة الأولى التى يبحث فيها هذا الموضوع، فبعد الحرب مباشرة قام مركز بحوث الوحدة الوطنية ببيروت بعمل ندوات تتناول آثار الحرب.

أريد أن أشير إلى أن الحرب لم تنته لسببين: **الأول**: أن هناك بعض الكتابات الإسرائيلية تشير إلى أن إسرائيل ستستأنف الحرب فى الصيف القادم، **الثانى**: اشتداد النزاع الطائفى فى لبنان؛ وهو ما تريده إسرائيل، وكان هو الهدف الرئيس للحرب التى قامت بها على لبنان.

بالنسبة لورقة أ. أمجد نلاحظ أنه اختار القرآن، وكل باحث له مطلق الحرية فى اختيار المنهج المناسب طالما أنه يستطيع أن يصل منه إلى نتائج. أما بالنسبة لحماس فأنا أعتقد أن وجودها فى السلطة لا ينقص من قدرها، وهى استفادت بالتأكيد من وجودها فى السلطة، وقد فرض عليها أن تكون فى السلطة طالما أنها إذا لم تدخل السلطة ستُفرض عليها قيود. أما بالنسبة للحصار المفروض على حماس فقد شاركت أطراف عربية وفلسطينية فى هذا الحصار، واللوم يقع على هذه الأطراف فى الحصار المفروض حاليّا على حماس.

وأريد أن أوجه ملحوظة أخرى بخصوص ورقة أ. أمجد. . فإنه تعرض لما تقوله الصحافة الإسرائيلية ولم يتعرض للكتابات الإسرائيلية بعد الحرب، والتى نشرها مركز

(*) أستاذ العلوم السياسية ورئيس قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

(**) مدرس العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

جاس للعلوم السياسية فى إسرائيل بعد الحرب. أما بالنسبة للسؤال بخصوص هل انتهت الحرب فعلاً أم لا؛ فأريد أن أوضح أن نتائج الحرب قد أعطت حوافز سياسية لإسرائيل، مع أنها لم تحقق نصراً عسكريّاً؛ فالقرار ١٧٠١ يعطى الحكومة اللبنانية حق مطالبة القوات الدولية فى الجنوب اللبنانى بنزع سلاح حزب الله، أو الوقوف على الحدود مع سوريا؛ فبذلك يحقق القرار ١٧٠١ لإسرائيل أهدافها؛ وهى: استمرار النزاع بين الحكومة اللبنانية وحزب الله حتى تدمير حزب الله، فالقرار هنا إذن يعطى مكاسب سياسية لإسرائيل لا تستحقها. . هذه هى أهم النتائج السياسية للحرب الإسرائيلية على لبنان. فإذا كانت الحكومة اللبنانية غير مستعدة للوقوف فى موقف وطن موحد أثناء الحرب فإن الحرب ستستمر.

ونريد أن نؤكد أن الولايات المتحدة وإسرائيل بذلك تريد أن تكون الحكومة اللبنانية أداة لتنفيذ سياستها، للقضاء على حزب الله. . ولتوضيح هذه الفكرة يجب أن نؤكد على الآتى:

* إن قضية خطف الجنديين الإسرائيليين وأسرهما ليست سببًا رئيسيّا للحرب؛ فقد كان هناك اتفاق بين الحكومة اللبنانية وحزب الله أنه من حق الحزب أسر جنود إسرائيليين لمبادلتهم بأسرى لبنانيين.

* إن إسرائيل كانت تنوى شن هذه الحرب منذ فترة طويلة؛ وذلك للقضاء على حزب الله، والكتابات السياسية تؤكد ذلك، فإذا لم تنجح الولايات المتحدة وإسرائيل فى استخدام الحكومة اللبنانية للقضاء على حزب الله كما يجيز القرار ١٧٠١ للحكومة؛ فإنها ستواصل القتال فى الصيف القادم.

وأعتقد أن الثلث المعطل الآن فى الحكومة اللبنانية لا بد أن يشارك، وأن يكون هناك وحدة وطنية تستطيع الحكومة من خلالها تحقيق التعاون والوحدة فى لبنان؛ فتقرير بيكر الذى أعده أوضح فيه أنه لا بد على السياسة الأمريكية أن تفتح بابًا للحوار مع أطراف الأزمات فى المنطقة، حتى يمكن حل هذه الأزمات، وأن تفتح الحوار مع سوريا وإيران؛ لأن هذه الأزمات مترابطة، ويجب أن يكون هناك تغيير فى السياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية، من خلال آلية معينة للتسوية الفعالة للأزمات تجاه الشرق الأوسط، وأن يكون هناك مؤتمر دولى تبحث فيه الولايات المتحدة هذه الأزمات، وكيفية التفاهم مع الأطراف

التى من خلالها يمكن حل هذه الأزمات، وإلا ستستمر الحرب داخل لبنان طالما أن حزب الله مستمر فى مقاومته؛ فالقضية الآن داخل لبنان من وجهة النظر الأمريكية / الإسرائيلية هى نزع سلاح حزب الله.

***

د. ناهد عزالدين

أنا أتفق مع أ. أمجد فى أن الأنظمة العربية أنظمة سلبية فى مواجهة إسرائيل؛ فإسرائيل نواياها معروفة حتى على طاولة المفاوضات، وعندما نقول الحرب الإسرائيلية / اللبنانية فنحن نعنى بذلك أن إسرائيل هى التى بدأت بالحرب والاعتداء، وأنا لا أتفق معه فى أننا بذلك وضعنا لبنان فى كفة واحدة مع إسرائيل. فنحن نقول مثلاً حرب أكتوبر هى حرب مصرية؛ لأن مصر هى التى بدأت بالحرب، وهى صاحبة الانتصار، فنحن نقصد المواجهة العسكرية بين هاتين الدولتين؛ ولذا اختار المركز عنوان المؤتمر «الحرب الإسرائيلية/ اللبنانية» وهى الحرب التى أثبت فيها الطرف اللبنانى ثباتًا وصمودًا مشهودًا.

إن عمير بيريتس كان مثل الحائط.. الكل كان ينقده لفشله فى إدارة الحرب، ولو كان قد نجح فى إدارة الحرب لما انتقدته وسائل الإعلام.

على جانب آخر أشار أمجد إلى حالة التقوقع داخل إسرائيل بعد الحرب، والصراع بين النخب السياسية، غير أن هذا التقوقع لا يتناسب مع طبيعة المشروع الصهيونى القائم على التوسع لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى.

أما حوادث القتل والاغتيال والإرهاب؛ فليست مؤشرًا لسقوط إسرائيل، فسقوط إسرائيل أمر محتم ولكن ليست حوادث القتل والاغتيال هى بالضرورة مؤشر على ذلك.

وإن إسرائيل لا تعتمد فى قوتها على الجانب المادى فقط، ولكن هناك الجانب الدعائى الذى تعتمد عليه؛ فبعض الكتب الغربية كانت قد أعلنت أن الثغرة التى حدثت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ دليل على أنه كان من الممكن تحويل النصر إلى هزيمة.

وفيما يتعلق بلبنان فكل دولة أثناء الحرب يكون لها أهداف تريد تحقيقها، وقد تحققت بصورة نسبية.. وكان لإسرائيل هدف من هذه الحرب وهو تدمير حزب الله ولم يتحقق، يضاف إلى ذلك أن هدف حزب الله كان هو تبادل الأسرى مع إسرائيل وهذا لم يحدث.

مما لا شك فيه أن هذه الحرب قضت على الغطرسة الإسرائيلية التى اعتادت عليها . هناك أيضًا جانب مهم هو جانب الهوية ؛ وهو ما تفتقده لبنان وكذلك إسرائيل ، فلا بد أن يكون هناك هوية مشتركة متفقة على المبادئ الأساسية ، ولعل ما أشار إليه الباحث نموذج للهوية ؛ فعرب ١٩٤٨ أبدوا خلال الحرب الإسرائيلية اللبنانية تضامنهم مع لبنان ، وتمسكوا بهويتهم مع أنهم يعيشون داخل المجتمع الإسرائيلى ، ونعتقد أن إسرائيل لا تزال تعتبرهم طابورًا خامسًا ، وتشك فى ولائهم لإسرائيل ، وأذاعت إسرائيل أنها سعيدة جدًا عندما سقطت صواريخ كاتيوشا على هؤلاء العرب ، وأذاعت ذلك ببهجة وسرور فى نشراتها الإخبارية ، وقد انتقد عرب ١٩٤٨ الحكومة الإسرائيلية أثناء الحرب لأنها لم توفر لهم الملاجئ . . فهل لو كانت وفرت لهم الملاجئ لكان لهم موقف آخر من تلك الحرب؟ . .

يضاف إلى ذلك نقطة هامة فى البحث المقدم من الأستاذ أمجد ؛ وهى الإرهاب وإسرائيل . . إن حماس وحزب الله منظمات إرهابية ؛ لذا لا يجب التعامل معها ، ومع أنهم كانوا يعترفون بحركة فتح ومنظمات التحرير الفلسطينية ، إلا أنهم لم يقدموا لهم أى شىء ؛ بل عزلوهم سياسيًا ، والدليل على ذلك عزل ياسر عرفات وقتله بالسم .

***